نَقْدُ آراءِ أبي حَيَّانَ في تَفْسِيرِ "البَحْرُ المُحِيطُ" معتمداً آراءَ الزمخشريِّ وسَمِين حَلَبِي "دراسة و تحليل"

ابوالفضل بهادري اصطهباناتي جواد رنجبر

جامعة طهران - جمهورية ايران الإسلامية جامعة بيام بور - جمهورية ايران الإسلامية

الملخص

كان أبو حيان الأندلسي من كبار المفسرين والنحاة في القرن السابع والثامن للهجرة و له يد طولى في اللغة و التفسير والنحو كما له أثر بالغ على العلماء بعده سواء في التفسير أو فى النحو. وقد جعل تفسيره المسمَّى بـ«البحر المحيط» حقلا لبيان آرائه النحوية وقد تناول فيه المباحث النحوية بالتفصيل. جاءت في هذا التفسير آراء فريدة من نوعها مظهرا عظمة صاحبه وعبقريته. هذا المقال يحاول بالمنهج الوصفي -التحليلي والرجوع إلى المصادر الأولية في مجال تفسير القرآن الكريم والكتب النحوية والبلاغية، عرض آراء ابي حيان في تفسيره المشهور بـ«البحر المحيط» على القواعد النحوية مستندا إلى وجهات نظر العلماء و مشاهير هذه العلوم خاصة الزمخشري و سمين حلبي.

وأظهرت نتائج البحث أن لأبي حيان مهارة فائقة ودقة ممتازة في آرائه النحوية والبلاغية في تفسيره «البحر المحيط» إلى حيث يعتبر الكثير من آرائه أساسا لآراء

سائر المفسرين والنحاة و هذا التبحر ا هو الذي جعله «شيخ النحاة». لكن عندما نمعن النظر في هذا التفسير نجد رغم ان اكثر آراء ابي حيان مطابقة للقواعد النحوية و ماخوذة منها مع ذلك قد جاء بآراء لاتلائم مع القواعد المتفقة عند النحاة والبلاغيين ومن ثم تتناقض معنى الآيات الكريمة. من هذه الأخطاء يمكن أن تندرج في مجال القواعد النحوية وبعضها الآخر في حقل المعنى.

المقدمـــــــــة:

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى قد نزل عن طريق ملك الوحي على الرسول الأكرمﷺ. وهو كتاب الرحمة وميثاق شامل لهداية الناس وضمان السعادة والكمال للبشر. ولكن هذه الهداية تعتمد على الفهم العميق لمعنى هذا الكتاب والعمل به. و من طرق معرفة هذه المسيرة العناية بتفاسير القرآن الكريم. و من هذا المنطلق جاء نقد و دراسة آراء المفسرين و أسلوبية منهجهم التفسيري الذي يعد من القضايا الرئيسة في هذا الحقل. بما أن تفسير «البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي يعتبر واحدا من التفاسير الشاملة والقديمة و بسبب الشخصية العلمية لصاحبه و عظمة تفسيره و بسبب الأثر البالغ لتفسيره وآرائه على المفسرين والنحاة بعده من مثل سمين حلبي في تفسير «الدر المصون» والآلوسي في تفسير «روح المعاني»، وابن هشام وابن عقيل اخترنا هذا الموضوع لنسلط الضوء على تفسيره و ننقده حتى تكون الفائدة منه أكثر فأكثر.

أما تفسير «البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي، فينطوي على تفسير القرآن الكريم كله، ومحاوره الرئيسة هي الأدب، واللغة والبلاغة. إذ يعدّ هذا التفسير من أحسن التفاسير التي تشتمل على النقاط الأدبية الرائعة والبديعة في القرآن الكريم. وفيه بحوث كثيرة و متعددة عن الطرائف الفنية و التصويرية للقرآن الكريم. و قد امتاز هذا التفسير باهتمامه بالقضايا الأدبية واللغوية والنحوية و البلاغية التي تحكي براعة المفسر و إلمامه في هذا المجال. و بالطبع المعالجة العميقة للقضايا النحوية (والتي هي السمة الرئيسة لهذا الكتاب) قوية إلى حد أن البعض قال: «البحر المحيط كتاب نحوي أكثر من أن يكون

تفسيرا». مع هذا فان بعض آراء أبي حيان في تفسيره التي تدور حول المباحث النحوية والبلاغية والمعنوية فتح أمام كتّاب هذه المقالة بابا حتى يلجوا مجالا أوسع للتحقيق والدراسة في التفسير القيم «البحر المحيط» وآراء صاحبه. ومع ذلك، بسبب محدودية هذا المجال اكتفي بذكر الآيات المحدودة على سبيل المثال لا الحصر.

فكما قلنا آنفا وصل أبو حيان في علم النحو إلى درجة سمّي بشيخ النحاة وإمام النحاة. يعتبر تفسيره مصدرا هاما في مجال إعراب ألفاظ القرآن. قد بسط في تفسيره المباحث النحوية بالتفصيل. واختص الجزء الكبير منه بالإعراب وعلم النحو الى حد أن البعض قال إن تفسيره يشبه كتابا نحويا أكثر من أن يكون كتابا تفسيريا. بعض آرائه النحوية مجموعة مختارة من تصريحات العلماء السابقين التي فضلها أبو حيان و بعضها الآخر نتج عن استدلاله و استقرائه فهو وليد قدرته في التحليل. و بالتفكير في آرائه النحوية نفهم أن له عبقرية خاصة في هذا الفن. لأنه في كثير من الأحوال يفتح أمام القارئ آفاقا جديدة من النحو لا توجد في سائر الكتب النحوية و التفسيرية. الاستنباط الفردي عنده قوية و مدروسة يذوب القارئ فيه إلى درجة يحسب أن كل ما كتبه أبي حيان نفس الصواب ولا يوجد فيه أى خلل. لا يستثنى كاتبا هذه المقالة فإنهما في البداية كانا على هذا الزعم كما أن قراءة صفحات كثيرة من هذا التفسير أيد زعمهما حتى واجها في بعض المباحث نظرات يتضح عدم صحتها بدقة قليلة. و في البداية كان من الصعب أن نشكل على شيخ النحاة فأحيانا راجعنا و راجعنا ثم كررنا المراجعة إلى الكتب النحوية الرئيسة لنطمئن أننا لم نخطئ في الإشكال عليه. لأن هذا التفسير ليس تفسيرا بسيطا وضعيفا وليس مؤلفه شخصا عاديا. وفي النهاية رأينا أن شيخ النحاة كإنسان أخطأ قي بعض نظرياته. لذا عرضنا الأخطاء على تفسير (الدر المصون) لسمين حلبي[1] و (الكشاف) للزمخشري

(١) الجدير بالذكر أننا أحيانا وجدنا أثناء البحث في تفسير سمين حلبي أنه أيضا أشكل على أبي حيان بعض آرائه و لكن حينما راجعنا البحر المحيط لم نجد أثرا مما قاله سمين حلبي أي من أخطاء أبي حيان فسجلناها في المقالة و إما أرجعنا إلى تفسير البحر المحيط و إن لم نر الأخطاء فيه راجين أن يجدها القارئ في المخطوطات الأخرى و إما أرجعنا إلى تفسير سمين حلبي و السبب لهذا الأمر

و سائر التفاسير المعروفة لندرس آراء سائر المفسرين حول المباحث التي أخطأ فيها أبوحيان و لاحظنا أن هؤلاء المفسرين يؤيدون دراستنا هذه.

أما بالنسبة إلى منهج الكاتبين في هذه الدراسة فأنهما بيّنا في البداية مواضع الخطأ على أساس قواعد النحو وآراء مشاهير النحو معتمدين على المعنى، وذكرا وجوهه المحتملة ثم استشهدا لنقدهما على أبي حيان معتمدين على آراء سمين حلبى و الزمخشري[٢] وسائر مشاهير التفسير و علماء النحو ثم قاما بتطبيقه على قواعد النحو و ذكرا في النهاية الوجوه الصحيحة.

هذه الدراسة تريد الإجابة عن هذين السؤالين:

١. إلى أى مدى تناسب آراء أبي حيان في تفسير «البحر المحيط» و ملاحظاته الآراء الشائعة لمشاهير النحو والبلاغة؟.

٢. أيقدم أبوحيان في تفسيره آراء خاطئة على الرغم من عظمة شخصيته وقيمة تفسيره الكبيرة؟.

سابقة البحث:

بعـــد التحري وصلنا إلى أن دراستين كتبتا حول تفسير «البحر المحيط» فيما نحن بصدده:

الأولى رسالة موسومة بـ «منهج أبي حيان النحوي في تفسير القرآن» بجامعة تربيت

أننا حسبنا أن هذه الآراء كانت موجودة في البحر المحيط في المخطوطات القديمة لكنها حذفت منها في الجديدة منها لأسباب مختلفة فسجلناها كي تبقى و يأتي زمان نعثر فيه على المخطوطة التي ذكرت فيها هذه الأخطاء و لا نشك أن هذه المخطوطة ستكون هي الأصل.

(٢) نجعل في هذا البحث آراء سمين حلبى و الزمخشري أساسا لنقد آراء أبيحيان؛ لأن سمين حلبى كان تلميذا لأبي حيان من جانب و يعرف أكثر من الآخرين اصطلاحات أستاذه و مفاهيمه و من جانب آخر قام سمين حلبى بنقد آراء أبي حيان و هذان مما يفسح الطريق لتحقق أهداف هذه المقالة. وبالنظر إلى أن أكثر الموارد التي قد أشكلناها في هذه المقالة على أبي حيان في الواقع هي العيوب التي يشكلها هو على الزمخشري، فالأحسن أن نذكر آراء الزمخشري أيضا لأن سمين حلبى من جانب عاب على أبي حيان هذه الموارد و أيّد رأي الزمخشري.

مدرس بقلم محمود خرسندى، فقد قام الكاتب بدراسة وتحليل الأمثال والشواهد النحوية وتبيين الآراء اللغوية والنحوية عند أبي حيان في تفسير القرآن الكريم. والثانية مقالة معنونةبـ «جايگاه نحويان در كتاب مغنى اللبيب ابن هشام انصارى؛ مطالعة موردى: ابوحيّان غرناطى» كتبه سيد على ميرلوحى ومحمد نبى احمدى و التي طبعت بمجله الرابطة العلمية للغة العربية وآدابها في ايران رقم ١٣ سنة ١٣٩٢ هجريا. يرى كتّاب هذه المقالة أن مخالفة ابن هشام لأبي حيان وتخطئة شخصيته لا ترجع إلى اختلاف آرائهما النحوية بل هي بسبب الخلافات الاعتقادية والمذهبية والشعور بالمفاضلة والمنافسة.

على هذا الأساس ما يميز هذه الدراسة من نظرائها من جهة يرجع إلى أن تحليل آراء المفسرين في النصوص التفسيرية و نقدها لم يؤخذ بعين الاعتبار و من جهة أخرى يرجع إلى عدم العناية بتفسير «البحر المحيط» وآراء صاحبه. فلذلك حاولنا في هذه الدراسة مستندين الى المصادر الأولية وآراء المفسرين المشهورين كالزمخشري وسمين حلبي نقد آراء أبي حيان الأندلسي في تفسيره. فعلى هذا الأساس لم يتطرَق أحدٌ للدراسة عن دراسة آراء ابوحيان في تفسير «البحر المحيط». فإنَّ هذه المقالة تكاد تكون فريدة فى نوعها على حد ما درسناها.

نبذة عن حياة أبي حيان الأندلسي ومنهجه في تفسير «البحر المحيط»:

يعتبر محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيّان أثير الدين أبوحيان الأندلسي الجياني (٦٥٤ -٧٤٥ق) من كبار علم التفسير والحديث و الأدب. ولد حوالى مدينة غرناطة و هاجر إلى مدينة مالقة، وترعرع فيها ثم انتقل إلى القاهرة وسكن فيها و توفي فيها. إنه سافر إلى المدن المختلفة من المناطق الإسلامية من مثل أفريقيا و الأندلس و الإسكندرية و مصر و الحجاز و تتلمذ على يد أكثر من أربعمائة وخمسين أستاذاً. تبحّره في الفروع المختلفة خاصة الأدب العربي أدى إلى أن يلقب بألقاب مثل «شيخ النحاة» أو «إمام النحاة»، «شيخ المحدّثين» و«رئيس العلماء». وهو كما قال تلميذه الصفدي تابع المدرسة الشافعية. والبعض يعتبره حنبلياً ومن أهل الظاهر. له مباحثات ومناظرات مع

ابن تيمية رفضه أبوحيان بسبب الخلافات العقائدية التي دارت بينهما وكتب ضده و ضد آرائه في كتبه. و في تفسيره أي البحر المحيط يرفض أيضا الكثير من آراء الزمخشري ولا يقبل العقائد الاعتزالية. (موقع آية الله العظمى مكارم) و له مؤلّفات عديدة و أشهرها «البحر المحيط» و هو أكبر كتب أبي حيان الدينية، وكان أبوحيان نفسه يسميه (الكتاب الكبير) ويقع في ثمانية أجزاء.

توسع أبوحيان فى مسائل النحو وخلافات العلماء في هذا الفن. ويتحدث في هذا المجال عن الزمخشري و ابن عطية مرارا. و إن تفسيره تفسير نقلي و روائي حيث يشرح الآيات بالروايات. اهتم أبوحيان بالمباحث الفقهية أيضا ينقل أقوال الفقهاء الأربعة لأهل السنة وينميها إلى الكتب الفقهية. لقد جمع في كتابه القراءات المتواترة و قام بتوجيهها وترجيحها. و لفهم هذه القراءات ينقل أقوال السلف والخلف ويذكر مشاكلها الإعرابية والبلاغية. خصص قسما كبيرا من كتابه بمباحث مثل الإعراب وعلم النحو حتى قيل إن تفسيره يشبه كتابا نحويا أكثر من أن يكون تفسيرا. ويختتم تفسيره للآيات ببيان النقاط النحوية واللغوية والبلاغية فيها.

وقام بالعديد من الرحلات إلى المناطق المختلفة في العالم طوال حياته. و واختلف المؤرخون في سبب هجرته من المغرب إلى المشرق و يمكن القول إن أهم الأسباب لهذه الرحلات هو تحصيل العلم و الاستفادة من مجالس العلماء في المشرق.

أما المنهج التفسيري عند أبي حيان الأندلسي فكما شرح في مقدمة تفسيره معالجة معاني الألفاظ في البداية، سواء من الجهة اللغوية أم من الجهة الإعرابية والبلاغية، ثم عالج تفسير الآيات وشأن نزولها ثم جاء بأقوال المفسرين (من المتقدين و المتأخرين) التى أثرت في فهم المعاني الظاهرية والباطنية للآيات الكريمة. ولم يأل جهدا في بيان مفهومه الكامل كا إنَّه شرح مشاكل الإعراب والدقائق الأدبية من البديع والبيان... و قد أرجع دلائلها الى الكتب المفصلة. ثم طرح أقوال فقهاء المذاهب الأربعة والآخرين في الأحكام الشرعية إلى حد يرتبط بالألفاظ القرآنية وأرجع دلائله إلى الكتب الفقهية

إلا في الحالات التي كان لها حكم غريب أو غير معروف.. وفي النهاية في بعض الآيات، يطرح ملخصا من الأبحاث البديعية والبيانية التى نقلها من الآخرين و يشرح الآية بناء على رؤيته الخاصة.

يعتبر تفسير الكشاف للزمخشري و المحرر الوجيز لابن عطية من المصادر الرئيسة و الهامة عند المفسر و قد نقل منهما في المسائل النحوية والوجوه الإعرابية و قام أحيانا برفض آرائهما و لكنه لا ينكر مهارة الزمخشري في معرفة بلاغة القرآن (نجدي، ١٤١٢: ٣٨).

يجب أن نذكر و نحن نتحدث عن آثار أبي حيان أن الاهتمام بشرح آثار الآخرين و اختصارها و تنظيمها كان منهجا سائدا في عصره ولايستثنى هو من هذا الأمر فأكثر أعماله من هذا القبيل. و يروى أنَّ مؤلفاته تزيد عن ستين مؤلفا. منها ما يلي:

البحر المحيط/ -النهر الماد (خلاصة لتفسير البحر المحيط)/ تذكرة النحاة/ الإدراك للسان الأتراك (من أقدم الكتب في قواعد اللغة التركية)/ النكت الحسان في شرح غاية الإحسان/ إعراب القرآن/ لغات القرآن/ التدريب في تمثيل التقريب/ عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي/ نكت الأمالي على عقد اللآلي (في شرح عقد اللآلي للمصنف). اما أشهر آثاره تفسير «البحر المحيط فى تفسير القرآن الكريم». لأبي حيان في هذا التفيير عناية خاصة بالمباحث النحوية و الخلافات في القراءات و الوجوه الإعرابية.

نقد آراء أبي حيان في تفسير «البحر المحيط»:

نقد آرائه النحوية:

إنَّ لأبي حيان في النحو مدرسة خاصة ولم يقلد أي مدرسة خاصة مطلقا. لكن تأثر كثيرا من اصحاب مدرسة البصريين ولاسيما سيبويه. تنقسم آراء أبي حيان في النحو إلى قسمين: الأول الآراء الشخصية التي حصل عليها بطريقة الاستقراء والتتبع والبحث و التحري الكثير في الشواهد و الأمثال و الآخر آراء العلماء الذين عاشوا قبله إنه قام بالمقارنة و المفاضلة بين هذه الآراء و رجح بعضها على الآخر. ما تدرس هذه الدراسة هو القسم الأول من آراء أبي حيان و هو نتيجة استقرائه الشخصي.

١. ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾[سورة البقره: ٢٣٠].

قيل فعل (ظنّ) في هذه الآية بمعنى اليقين لكن الزمخشري يعتبر هذا الاحتمال ضعيفا من جهتين: الأولى من ناحية اللفظ لأن كل ما هو بمعنى اليقين لا يعمل في أن الناصبة في حالة أنه عمل فيها هاهنا و لذلك حذف حرف النون من آخر فعل (يقيمان) والثانية من ناحية المعنى لأن الإنسان لا يستطيع أن يحصل على اليقين من أمر سيحدث في المستقبل بل كل ما يستطيع فعله هو أن يتنبأ و يظنّ. (ر. ك: زمخشری، ١٤١٨: ١/ ٢٧٦).

قال أبوحيان في نقد رأى الزمخشري: «أجاز سيبويه عمل (علم) في (أن) و لكن كما رفض الزمخشري هذا الرأي فأبو علي الفارسي أيضا لا يراه صحيحا لذلك قال بعضهم في تبرير الوجهين و التنسيق بينهما: في بعض الأحيان المراد بالعلم هو الظن القوي» كما في هذه الآية: ﴿ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ ﴾ [سورة الممتحنة: ١٠] وهذا البيت من المتلمس:

وَ أَعْلَمُ عِلْمَ حَقٍّ غَيْرَ ظَنٍّ لَتَقْوَى اللهِ مِنْ خَيْرِ العَتادِ

(الديوان، ١٩٧٠: ١٧٢)

يفهم من عبارة (علم حق) أنه يوجد علم يكون غير حق و يفهم أيضا من (غير ظن) أن العلم قد يكون بمعنى الظن و من الشواهد التي تدل على أن (عَلِمَ) بمعنى (ظَنَّ) تعمل في (أن) الناصبة هذا البيت لجرير:

نَرْضَى عَنِ النَّاسِ أَنَّ النَّاسَ قَدْ عَلِمُوا أَنْ لا يُدانَينا مِنْ خَلْقِهِ أَحَدُ

(ديوان، لاتا: ٢٦١)

فبناء على بيت جرير و إجازة سيبويه يتعين أن (علم) عمل في (أن) الناصبة فخلافا لرأي الزمخشري نرى أنه لا ضعف فيها من جهة اللفظ أما بالنسبة إلى المعنى فليس كما يزعم الزمخشري لأن الإنسان يعلم الكثير من الأحداث التي ستحدث في المستقبل ويصل إلى اليقين عنها".

كما أشار صاحب كتاب «الدر المصون» بالتفكير في قول أبي حيان نفهم أنه خلط بين

الموضوعات خلطا عجيبا. لأنه في البداية يرفض ما قاله الزمخشري من أن (ظن) في هذه الآية ليس بمعنى اليقين لأن اليقين لا يعمل في (أن) الناصبة ثم يأتي أبوحيان بأمثلة في تبرير عمل (علم) الذي بمعنى الظن القوي و في النهاية نتيجة لسهوه يعتبر هذه الأمثلة دليلا على أن رأي الزمخشري خطأ. يجب القول ردا على أبي حيان إن ما قاله الزمخشري من أن فعل (ظن) لا يستطيع أن يعمل في (أن) يختص بالظن الذي بمعنى اليقين و لكن سبب عمل (علم) في (أن) في هذه الأمثلة هو أنه بمعنى الظن أو الظن القوي. ومن الناحية المعنوية يجب القول إنه و إن يعلم الإنسان بعض الأحداث التى تحدث في المستقبل علم اليقين و لكن إقامة حدود الله تعالى من جانب المرأة و زوجها كما جاء في الآية لا تدخل في هذه الأحداث.

٢. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ [سورة آل عمران: ١٠].

ذكر لـ (من) في العبارة (من الله شيئا) أربعة احتمالات: الأول البدلية، والثاني ابتداء الغاية، والثالث معنى (عند) والرابع و هو رأي أبي حيان التبعيض. قال أبوحيان: «جاز أن يكون (شيئا) مفعولا به لأن (لن تغني) بمعنى (لن تدفع و تمنع) و (من) يمكن أن تكون في موضع الحال من (شيئا) لانها ذكرت قبل (شيئا) أما إن كانت بعده فهي في موضع النعت و في هذه الحالة ذُكرت (من) للتبعيض». نقول إن هذا القول خطأ لأن (من) التبعيضية يجب أن تكون قابلة لأن تؤول إلى كلمة (بعض) مضافا إلى مجرور (مِن) نحو هذه الجملة: (رأيت رجلاً من بني تميم) فتأويلها: (رايت بعضَ بني تميم) (ناظر الجيش، ١٤١٢: ٢٨٨٦). أما في هذه الآية فلا يمكن تأويل (من) بـ(بعض) لأنه لا يمكن القول: (... شيئا كائنا بعض الله) فلا يمكننا أن نعتبر (من الله) نعتا أو حالا لـ(شيئا) إلا إذا جعلنا (من) لابتداء الغاية نحو هذه الجملة (عندي درهم من زيد) و التقدير: (عندى درهم كائن/ مستقر من زيد)، فلا يصح اعتبار (من) بمعنى التبعيض في هذه الآية.

٣. ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[سورة آل عمران: ٨٣].

قد ذكر ابوحيان في تبرير نصب الكلمتين (طوعا و كرها) وجهين: الأول أن تكونا في موضع الحال تقديرهما: (طائعين و كارهين) والآخر أن تكون نائبتين عن المفعول المطلق. لكن بدراسة قواعد النحو نجد أن الرأي الثاني ليس بصحيح لأنَّ «نائب المفعول المطلق يجب أن يكون مرادفا لمعنى عامله و هو هنا فعل (أسلم) أو يشترك مع العامل في الأحرف الأصلية». (ابن عقيل، لاتا: ٢/ ١٤٦) على الرُغم من أن واحدة من هاتين الكلمتين و هي (طوعا) مرادفة لفعل (اسلم) لكن كلمة (كرها) لايتناسب معنى الفعل. فعلى هذا يجب أن تكون هاتان الكلمتان متعلقتين بفعلين محذوفين يرادفانهما في المعنى.

٤. ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[سورة الاعراف: ١٤٢].

يحتمل في إعراب (أربعين) عدة وجوه منها أن يكون حالا فيقول الزمخشري: «(أربعين) حال و منصوب تقديره: (تم بالغا هذا العدد)». (زمخشری، ١٤١٨: ٢/ ١٥١) كتب أبوحيان في نقد رأي الزمخشري: «إن كان تقديره كما يقول فكلمة (أربعين) ليس حالا بل الكلمة المحذوفة هي الحال و على هذا ففي قوله تناقض». والصحيح أنه ليس في قول الزمخشري تناقض لأن الشائع بين النحاة أن ينسبوا الحكم بعد حذف عامله الى معموله فعلى سبيل المثال في جملة (زيد فى الدار/ عندك)، يسمى المجرور بالحرف و الظرف خبراً و إن كان الخبر في الحقيقة هو الفعل أو النعت المقدر أعني (يستقر/ مستقر) و في جملة (جاء زيد بثيابه) يسمون عبارة (بثيابه) حالا و إن كان الحال في الأصل العامل المحذوف الذي تقديره: (جاء زيد كائنا بثيابه). (حلبی، ١٤١٤، ٣/ ٣٣٨)[٣].

٥. ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ

(٣) (رك: ابن هشام، (؟): ٢٦٢).

﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾[سورة الاعراف: ١٤٥].

قيل الرؤية في فعل (أريكم) يمكن أن يكون بصريا أو قلبيا. يقول ابن عطية: «إن كان الرؤية قلبيا فبسبب ذكر همزة باب (أفعل) يجب أن يعدّى إلى ثلاثة مفاعيل وإن قال شخص: فهم المفعول الثالث من المعنى فلذا صار مقدّرا والأصل: (سأريكم دار الفاسقين مدمرة/ خربـــة/ مسعرة)، في رفضه يجب أن نقول: حذف هذا المفعول لا يجوز». (ابن عطية، ١٤٢٢: ٢/ ٤٥٣) يقول أبو حيان ردا على ابن عطية: «يجوز حذف المفعول الثالث في باب (أعلم) إن كان هناك دليل على سبيل المثال في الإجابة عن هذا السؤال: (هل أعلمتَ زيدا عمرا منطلقا)، يجوز أن تقول: (أعلمتُ زيدا عمرا) لأن العبارة قبله تدل عليه». يجب أن نقول في نقد رأي أبي حيان أن مثال (هل أعلمت..) لا يتناسب مع مثل هذه الآيه لأن العبارة السابقة في مثال أبي حيان تدل على الكلمة المحذوفة أما في هذه الآية لا توجد أية دلالة على المفعول الثالث المحذوف. أضاف ابن عطية قائلا: «لايجوز حذف المفعول الثالث و الاجتزاء بالمفعولين الأول و الثاني لأن الفعل دخل على المبتدإ والخبر». يقول أبو حيان في الإجابة عنه: «لايدل دخول الفعل على المبتدإ والخبر على منع الحذف لأن حذف خبر المبتدإ وحذف المفعول الثاني والثالث في باب (أعلم) يجوز للاختصار». يجب أن نقول في رفض رأي أبي حيّان: «حكم المفعول الثاني والثالث في باب (أعلم) هو حكم مفعول الأول والثاني في باب (علم) أي لايجوز حذف أي منهما دون قرينة لأنهما في الأصل مبتدأ و خبر، لذا حذفه للاختصار يحتاج إلى القرينة». (تفتازانى، لاتا: ١٤٣)، وكما قلنا في هذه الآية لا توجد دلالة على المفعول الثالث. (ناظر الجيش، ١٤١٢: ١٥٥٨ و صبان، لاتا: ٢/ ٥٩).

٦. ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[سورة التوبة: ٤٢].

ذكر في إعراب فعـــل (يهلكون) ثلاثة أوجه: الأول أن يكون حالا عن فاعل

(سيحلفون)، و الثاني أن يكون حالا عن فاعل (خرجنا) و الثالث أن يكون بدلا عن جمله (سيحلفون) و الزمخشري ممن ذكر الوجه الأخير. يقول أبوحيان في رفض رأي الزمخشري: «يستبعد أن يكون (يهلكون) بدلا من (سيحلفون) لأن الإهلاك لايرادف الحلف وليس أحدا من أنواع الحلف، و الحال أنه لايأتي الفعل بدلا من فعل آخر إلا أن يكون مرادفا له أو يكون أحدا من أنواعه». أما بمراجعة آراء النحاة فنرى أن اشتمال السبب على المسبَّب من مصاديق بدل الاشتمال نحو هذا البيت:

إنَّ عَلَيَّ اللهَ أَنْ تُبايِعا تُؤْخَذَ كَرْهاً أَوْ تَجِيءَ طائِعاً

(ابن عقيل، لاتا: ٢/ ٢٥٣)

وفيه (تؤخذ) بدل من (تبايع) من نوع الاشتمال لكنه ليس مرادفا للمبدل منه و ليس أحدا من انواعه بل إن المبدل منه سببٌ و البدل مسبَّبه (جامي، ١٣٦٧: ٢/ ٧ و ابن حاجب، لاتا: ١/ ٤٢٩) لذا نستطيع أن نسمي العلاقة بين (يهلكون) و (سيحلفون) بدل الاشتمال لأنه على أساس قول الله تبارك وتعالى في مواصلة هذه الآية، كان حلفهم كذبا والحلف الكاذب سبب الإهلاك كما قال الإمام الصادق﵇: (إِنَّ الْيَمِينَ الْكَاذِبَةَ وَ قَطِيعَةَ الرَّحِمِ لَتَذَرَانِ الدِّيَارَ بَلَاقِعَ) (كلينى، ١٤٠٧: ٢/ ٣٤٧، حقى، لاتا: ٣/ ٤٤٠ و حلبى، ٣/ ٤٦٧).

٧. ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[سورة يونس: ٦٥].

قرأ أكثر القرّاء همزة (انّ) مكسورة أما أبوحيان فقرأها مفتوحة. يقول أبوحيان: «على الرغم من أن (انّ) قرئت بفتح الهمزة مع ذلك لانستطيع أن نعتبرها معمول (قولهم) لأن هذا القول لايحزن رسول الله ﷺ لأنه قول الحق. لذلك ذكر وجهين لفتح همزة (ان): الأول التعليل تقديره: (لايقع منك حزن لما يقولون لأجل أنَّ العزة لله جميعا) و الوجه الثاني (انَّ العزة) بدل من (قولهم) وهو لايصح من حيث المعنى». يقول أبو حيان: «إن ابن قتيبه و آخرون من الذين يعتبرون فتح همزه (انّ) كفراً، مرادهم أننا

إن اعتبرنا (انَّ) معمولا لـ (قولهم) ينتهي الى الكفر». يُفهم من أقوال أبي حيان هذه أنه غفل عن هذه النكتة أنه عندما يكون المراد من القول هو الحكاية تكسر همزة (انَّ) بعده وبسبب هذه الغفلة يرى أن المانع الوحيد الذي يمنعنا من أن نعتبر (انَّ) معمولا لـ(قولهم) هو أن مضمون الجملة بعد (انَّ) لا يحزن النبيﷺ في حالة أن لهذا الأمر إضافة إلى هذا المانع مانعا نحويا كما شرحنا (ر. ك: حلبى، ٤/ ٥٠).

٨. ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾[سورة الحجر: ١٩].

كلمة (الأرض) في هذه الآية منصوبة بالاشتغال أي أنها مفعول به لفعل محذوف فسّره الفعل المذكور (مددناها). يقول أبوحيان في تبرير وجه النصب في هذه الكلمة: «بما أن الجملة التى وقعت بعد هذه الجملة فعلية فنصب هذه الكلمة أولى من الرفع». نفهم من دراسة قواعد الاشتغال أن ذكر الجملة الفعلية بعد الجملة التي تشمل على اللفظ المشغول عنه ليس من عوامل ترجيح النصب و في الواقع عامل ترجيح النصب هو عطف الجملة التي تشمل على كلمة المشغول عنه على الجملة الفعلية قبلها فبناء على ذلك سبب نصب (الارض) في هذه الآيه هو عطف جملة (و الأرض مددناها) على جملة ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾[سورة الحجر: ١٦]. (صافى، ١٤٠٦: ١٤/ ٢٢٩ وسيوطى، لاتا: ٣/ ٨٠).

٩. ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[سورة الاسراء: ١٠٦]

يقول أبو حيان: "(على مكث) متعلق بـ(لتقرأه) ولايُعتنى بتعلق حرفين متجانسين من حروف الجر به لأنهما مختلفان في المعنى فالأول أي (على الناس) في موضع المفعول به والثاني في موضع الحال و المعنى (متمهلا مترسلا)".

ما يقوله أبوحيان من أن العبارة (على مكث) متعلقة بـ (لتقرأه) يتناقض مع قوله: "في موضع الحال"؛ لأنها إن كانت في موضع الحال فتتعلق بمحذوف لا بفعل (لتقرأه) ولانستطيع القول في الدفاع عنه بأن مراده بالتعلق هو التعلق المعنوي و ليس التعلق

الإعرابی و النحوی فإن هذین الحرفین في المعنی یعتبران من قیود هذا الفعل و یتعلقان به لا نستطیع قول ذلك في الدفاع عنه لأن ما یقوله من أنه: "لایعتنی بقاعدة عدم صحة تعلق حرفین متجانسین من حروف الجر بفعل واحد" یندرج في الإعراب و النحو لا المعنی لأنّ عدم صحة تعلق حرفین متجانسین من الحروف الجارة یعتبر من القواعد النحویة (حلبی، ٤/ ٤٢٨).

١٠. ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾[سورة مریم: ٦٠ -٦١].

یقول أبو حیان: "إن قرأتَ (جنات عدن) بکسر التاء کما قرأ جمیع القراء فهي بدل من (الجنة) وعلی أساس هذه القراءة یکون لجملة (و لا یظلمون شیئا) وجهان: الأول أن تکون معترضة وقعت بین البدل والمبدل منه والثاني أن تکون حالا".

یجب أن نقول في نقد أبي حیان إن واو الحالیة لا تدخل علی الفعل المضارع المنفی بـ (لا) النافیة (حلبی، ٤/ ٥١٢ و بدیع یعقوب، ١٣٦٧: ٣٤١). إننا و إن نتعجب کثیرا من خطأ أبي حیان و لکن لا ننسی أن لکل عالم هفوة والجدیر بالذکر أن ابن عقیل أیضا أخطأ في مثل هذه المسألة في الحال وهو في الآیة الکریمة: ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ [سورة طه: ٢٠]، یقول حول إعراب فعل (تسعی): »قد أجازوا أن یکون فعل (تسعی) خبرا ثانیا لکن هذا الوجه لیس واجبا فإن هذا الفعل یمکن أن یکون حالا أیضا». (ابن عقیل، ١/ ٢٦٠) أخطأ ابن عقیل کما هو واضح في هذه القضیة باعتباره هذا الفعل حالا من کلمة (حیّة) و الحال أنه یجب أن یجعله نعتا لأن (حیّة) نکرة و لا یوجد مسوغ لجعلها حالا.

١١. ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۚ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾[سورة فاطر: ٤٠].

یحتمـــل في فعل (أرأیتم) وجهان: الأول أن تکون الألف الأولی ألف الاستفهام

و يراد بهذا الفعل استفهام حقيقي و لا يقصد معنى (أخبرونى) ففي هذه الحالة ذكر الفعل الأمر (أروني) للتعجيز والوجه الثاني أن لا تكون الألف للاستفهام و يقصد من فعل (أرأيتم) معنى (أخبرونى) ففي هذه الحالة له ثلاثة مفاعيل المفعول الأول ضمير الياء و المفعول الثاني كلمة (شركاءكم) و المفعول الثالث جملة (ماذا خلقوا) و بناء على الوجه الثاني يجوز في فعل (أرونى) وجهان: الأول أن يكون معترضا والثاني أن يكون من باب التنازع لأنّ فعل (أخبرونى) يحتاج إلى عبارة (ماذا خلقوا) كمفعول ثالث له و فعل (أرونى) يحتاج إليه كمعلّق (عن العمل في المفعول). أما الزمخشري فيقول: «يمكن أن يعتبر فعل (أرونى) بدلا من (أرأيتم) لأنّ (أرأيتم) بمعنى (أخبرونى)»، (زمخشرى، ٣/ ٦١٧)، و معنى الآية في هذه الحالة: (أخبروني عن شركائكم أروني أي جزء خلقوا من الأرض) (آلوسى، لاتا: ١١/ ٣٧٥) رفض أبو حيان رأي الزمخشري قائلا: «إن دخلت أداة الاستفهام على المبدل منه يجب تكرارها في البدل وهنا قبل فعل (أرونى) لم تكرر الهمزة هذا من جهة و من جهة أخرى لاتأتي الجملة بدلا من جملة أخرى في اللغة العربية». يجب القول في نقد رأي أبي حيان إن تكرار الأداة ضرورى في حالة أن يكون المبدل منه بمعنى الاستفهام الحقيقي و لكن إن كان بمعنى (أخبرونى) لما احتاجت إلى التكرار لأنه ليس فيه معنى الاستفهام والإتيان بالأداة على البدل خطأ. أما ما قاله أبو حيان من أن جعل الجملة بدلا من الجملة لا يسبق في العربية فخطأ. لأن هذا النوع من البدل يوجد في الأشعار العربية بكثير (ر. ك: حلبى، ٦/ ١٤٠) ومن شواهده الأبيات التالية:

أَقُولُ لَهُ ارْحَلْ لا تُقِيمَنَّ عِنْدَنا وَ إلّا فَكُنْ فِي السِّرِّ وَ الجَهْرِ مُسْلِما
مَتَى تَأْتِنا تُلْمِمْ بِنا فِي دِيارِنا تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وَ ناراً تَأَجَّجَا
إِنَّ عَلَيَّ اللهَ أَنْ تُبايِعا تُؤْخَذَ كَرْهاً أَوْ تَجِي ءَ طائِعا

(ابن هشام، لاتا: ٣٦٢)

فإن جملة (لا تقيمن عندنا) و (تلمم بنا في ديارنا) و (تؤخذ) بدل من جملة (ارحل)،

(تأتنا) و (تبايعا) على التوالي.

٢. نقد آرائه المعنوية والبلاغيّة:

إنَّ العناية بوظيفة الفاظ القرآن البلاغية من أهم الطرق في فهم معنى الآيات الكريمة. على هذا لدراسة منزلة البلاغة في المعنى أهمية خاصة. المهم في تفسير القرآن أن ننظر الى ما وراء العلامات اللغوية ولا ننحصر في الألفاظ. لان المفسر في كثير من الاحيان يكتفى في شرح الكلام بترجمة اللفظ فقط و يغفل عن سائر الأمور فلذا يخطئ في طريقه. علم البلاغة على ما يعرف به في علم الدلالة يساعدنا في معرفة المعنى. لذلک، نستطيع ان نبحث عن تناسب البلاغة وتنسيقها في معرفة معانى الآيات في تفسير القرآن الكريم. في هذا القسم نذكر موارد من آراء ابي حيان البلاغية التي ادّت الى خطئه في تبيين معانى آيات القرآن الكريم.

١. ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ [سورة البقره: ١١٦].

قد ذكر الزمخشري وجهين في بيان نوع التنوين في (كل)؛ الأول: أن يكون عوضا عن عبارة (ما فى السماوات و الارض) والثاني: أن يكون عوضا عن (من جعلوه للهّ ولداً). (الزمخشرى، ١/ ١٨٠) يقول أبوحيان في نقد الوجه الثاني: «هذا الوجه بعيد جداً لأنه لا إشارة في الآية إلى الشخص الذي جعلوه ولداً». يجب أن نقول في رفض أبي حيان لقد أشير إليه في جملة (بل له ما في السماوات و الارض) لأن الله تعالى بعد أن نزه نفسه من اتخاذ الولد بكلمة (سبحانه) أبطل على الفور حكم اتخاذ الولد بعبارة (بل له ما فى السماوات و الارض) مشيرا بهذه العبارة إلى مالكيته بالنسبة إلى جميع الموجودات في السماوات و الأرض و كما هو معلوم هؤلاء الذين اتَّخِذُوا ولدا له هم جزء من هذه الموجودات؛ «لأن (بل) هنا بمعنى الإضراب الإبطالي (أي نفى الحكم الذي قبل (بل) و إثبات الحكم الذي بعده». (بديع يعقوب، ٢٠٢) وحرف اللام في (لهم) يدل على مالكية الله تعالى بالنسبة إليهم. بناء على هذا لايوجد بينه وبينهم علاقة

الأب والابن بل العلاقة بينهما علاقة المالك والمملوك. مع هذا الوصف من الواضح أنه خلافا لرأي أبي حيان هناك في جملة (بل له ما فى السماوات و الارض) أشير في ضمن موجودات السماوات والأرض إلى الشخص الذي اتُّخِذَ ولدا فيمكننا أن نجعل هذا التنوين عوضا عن عبارة (ما فى السماوات و الأرض) التي تشير إلى قنوت (=خضوع) جميع الموجودات في السماوات والأرض لله سواء اولئك الذين اتُّخِذُوا ولدا و الذين لم يُتَّخَذوا ولدا وكذلك نستطيع أن نعتبره عوضا عن عبارة (من جعلوه لله ولدا) التي تبيّن خشوع من اتُّخِذَ ولدا فقط.

٢. ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[سورة آل عمران: ٤٩].

يقول أبوحيان: «هذه المعجزات مثل خلق الطيور الحية من الطين الجامد وشفاء العمى والبرص وإحياء الموتى والإنباء عن الأشياء الخفية كل هذه آية في نفسها سواء آمنوا أم كفروا. ولذلك فينبغي أن تقدر صفة ليحصل تعليق حصول جزاء الشرط على حصول الشرط بأن يكون التقدير: (لآية نافعة)». قول أبي حيان هذا بأن المعجزات آية في نفسها أصل متقن لا شك فيه أما جعل جملة (إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ) كجواب الشرط وجعل حصول علاقة التعليق مشروطا بتقدير نعت (نافعة) ليس صحيحا لأن حصول الجزاء كما أشار أبو حيان نفسه تابع لحصول الشرط فما نفهمه من الآية مطابقا رأي أبي حيان هو: (إن تؤمنوا، ففي هذه المعجزات آية وعلامة نافعة وإن لاتؤمنوا فليس فيها آية نافعة) واضح أن هذا الفهم من الآية خطأ لأن هذه المعجزات كما أشار أبوحيان في نفسها آية سواء آمنوا أم لم يؤمنوا. و حتى لو كانت جملة (إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ) جواب الشرط لم يحتج إلى تقدير نعت (نافعة) وحصل التعليق دونه لأنّ كون الآيه نافعة واضح من معنى الآية وسياقها و الأصل في معجزات الله تعالى أن تكون نافعة (حلبى، ١٤١٤: ٣/

٤٠٦). فالأحسن بناء على ما ذكر أن نجعل جواب هذا الشرط مقدرا كسائر المفسرين والنحاة: (إن كنتم مؤمنين انتفعتم بهذه الآيةِ وتدبَّرتموها) (الالوسی، ٢/ ١٦٤ و درويش، ١٤٠٨: ١/ ٥١٦).

٣. ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴾[سورة الاعراف: ٣٧].

أجاز أبو حيان في اعراب فعل (شهدوا) احتمالين: الأول: أن يكون معطوفا لـ (قالوا) و على أساس ما قاله من أن فعل (قالوا) جواب لسؤال الرسل ففعل (شهدوا) أيضا يعتبر جوابه والثاني: أن يكون مستأنفة ومنقطعة من الجملة التي قبله ففي هذه الحالة ليس جوابا لسؤالهم.

نجد بالتأمل في هذه الآيات أنّ جواب هذا السؤال ليس فعل (قالوا) بل الجواب في الحقيقة هو مقول فعل (قالوا) أي فعل (ضلوا عنا) فعلى هذا إن كان فعل (شهدوا) كما يرى أبو حيان معطوفا على الجواب يجب أن نعتبره معطوفا على (ضلوا) لا (قالوا) و من جانب آخر إن جعله معطوفا على (ضلوا) ليس خاليا من الإشكال ففي هذه الحالة كان يجب أن تجيء الجملة بهذا الشكل: (قالوا ضلوا عنا و شهدنا على أنفسنا أنا كنا..). على هذا كان الأفضل لأبي حيان أن يتصرف مثل سائر المفسرين بأن يجعل فعل (شهدوا) مستأنفا و هذا الوجه قد ذكره أبوحيان كاحتمال ثان ولم يغفل عنه أو يجعله معطوفا على فعل (قالوا) لكن لا يدخله في الإجابة عن سوال الرسل.

٤. ﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾[سورة الاعراف: ١١٥].

يجوز في إعراب المصدر المؤول من (أن تلقى) عدة وجوه منها أن نجعله منصوبا بفعل مقدر يناسب الجملة أما أبو حيان فقَدَّرَ فعل (افْعَلْ) و عليه يكون تقدير هذه الجملة بهذا الشكل: (افعل إما القاءك و إما القاءنا). لكن هذا الفعل كما نرى لايناسب الجملة فإنه و إن كان إلقاء موسى بيد موسى نفسه ولكن إلقاءهم ليس باختياره فالأحسن أن يقدر

فعل آخر يناسب الجملة و يبدو أنّ فعل (اختر) يناسبه و التقدير: (اختر إما إلقاءك و إما إلقاءنا)[٤].

٥. ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [سورة هود: ٦٦].

في عبارة (و من خزى يومئذ) الواو للعطف (من خزى) جار و مجرور متعلق بفعل محذوف تقديره (نجيناه) (يوم) مضاف إليه و مجرور (إذ) ظرف زمان ومضاف إليه و هو في محل الجر و تنوين (إذ) عوض عن جملة محذوفة و كما يبدو من ظاهر الآية كانت الجملة المحذوفة فى الأصل هي (جاء أمرنا). يقول الزمخشري: "نستطيع القول إن المراد بـ (يومئذ) يوم القيامة". (الزمخشرى، ٢/ ٤٠٩)، و لكن أبو حيان يرى أن رأي الزمخشري ليس صحيحا لأنه لم يجر في الآية حديث عن يوم القيامة ولا عن حوادثه. يجب أن نقول في نقد رأي أبي حيان إن القرينة ليست لفظية فقط و يمكن أن تكون معنوية كما أجاز أبو حيان نفسه في الآية رقم ٥٨ من السورة نفسها: (وَ لَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا هُوداً وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ نَجَّيْناهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ) أجاز أن يكون المراد من (عذاب غليظ) عذاب الآخرة دون أن يجري حديث عن الآخرة والقيامة. بناء على هذا ففي الآية ٦٦ يمكن أن يكون المراد يوم القيامة كما يعتقد صاحب كتاب روح المعانى أن هاتين الآيتين يشبه بعضهما بعضا[٥].

٦. ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾[سورة الواقعه: ٢٢].

قرئت كلمة (حور) بالحركات الإعرابية الثلاثة يقول الزمخشري في توجيه حركة الجر: «سبب جرها عطفها على (جنات النعيم) كأنه قال: (هم فى جنات و فاكهة و لحم و حور)» (زمخشرى، ٤/ ٤٦٠)، يعتقد أبوحيان أن هذا الوجه بعيد و يؤدي إلى تجزئة الكلام بعضه عن بعض و أن هذا الفهم من الآية ليس عربيا. نستطيع أن نفهم بالتفكير في معنى الآية أن

(٤) رك: صافى، ١٤٠٦: ٩/ ٣٤.
(٥) (ر. ك: آلوسى، لاتا: ٦/ ٢٨٩).

رأي الزمخشري مقبول لأننا يمكننا أن نعتبره من باب التشبيه أي تشبيه المصاحبة مع الحور بالظرف والاستعارة المكنية، و القرينة إثبات معنى الظرفية لكلمة (في) لأن هذه الكلمة تبقى بمعناها الحقيقي (ر. ک: آلوسی، ١٤/ ١٣٨). إن كان الفهم الحاصل من عطف (حور) على (جنات) فهما أعجميا كما زعم أبوحيان لما ذكر هذا الوجه المفسرون الآخرون منهم القرطبي، ابن عاشور، الآلوسي و القاسمي الذين لايوجد في عربيتهم أي شكّ و لم يتلقوها بالقبول و لم يدافعوا عنه حتى أن صاحب كتاب محاسن التأويل، يتهم أباحيان بالعناد بسبب هذا الاعتراض للزمخشري. (قرطبی، ١٩٨٧: ١٧/ ٢٠٤، ابن عاشور، ١٩٨٤: ٢٧/ ٢٧٢، قاسمی، ١٣٩٨: ٩/ ١٢٢).

٧. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ [سورة الملك: ٣].

يعتبر أبوحيان جملة (ما ترى فی خلق الرحمن من تفاوت) مستأنفة معناها: (لا يرى عيب في خلق الله ولا تضاد). نقول على مايظهر اتخاذ هذه الجمل مستأنفة يؤدي الى تجزئة الكلام لأن هذا المفهوم لايتناسب و بداية الآية وانتهاءها ولا يساعد لربط الآية بالآيات بعدها التي نزلت حول السماء فكأن الله تعالى أثناء كلامه عن قدرته في خلق السماوات السبع التي لايوجد فيها أي عيب و خلل، تحدّث عن عدم وجود التضاد والعيب في خلقه؛ الحديث عن عدم وجود التضاد و العيب و إن ليس غير مرتبط بمعنى الآية مع ذلك إذا كان بالإمكان استخراج مفهوم أفضل من الآية فهو المختار و هو أن يكون المراد من (خلق الرحمن) كلمة (سماوات) وفي هذه الحالة يوجد تناسب أكثر بين عبارات الآية بأن نجعل الجملة نعتا ثانيا لـ (سماوات) و يكون الأصل: (ماترى فيهن من تفاوت) و السبب في ذكر الاسم (خلق الرحمن) عوضا عن الضمير (هنّ) بناء على رأي الزمخشري وبعض آخر من المفسرين هو تعظيم خلق (سماوات) والإشارة إلى سبب عدم وجود العيب والخلل فيها بدلالة كلمة (الرحمن) (دسوقی، ٢/ ١٨١، زمخشری: ٤/ ٥٧٦، حلبی، ١٤/ ٧١، رازی، ١٤١١: ٣٠/ ٥٨٢ و سمرقندی، ١٤٠٥: ٣/

٤٧٤) فكما قال صاحب تفسير التحرير و التنوير إن إنشاء السماوات السبعة المنظمة رحمة من الله تعالى للإنسان لذا استخدم الله تعالى في هذه الآية كلمة (الرحمن) على وجه الخصوص ليشير إلى أن رحمة الله تعالى للإنسان أدى إلى أن يخلق السماوات دون عيب وخلل هكذا وإن لم يكن هذا النظم الموجود واجه الانسان مشكلات عديدة (ابن عاشور، ٢٩/ ١٦).

نتائج البحث:

أهم النتائج التي نستطيع استنتاجها من هذه الدراسة هي:

١. أنه على الرغم من مهارة أبي حيان ودقته الممتازة في تفسيره القيّم أحيانا نرى أنه انحرف عن جادة الصواب و عرض آراء نحوية وبلاغية خطأ وبالتالي عرض معنى خطأ لا ينسجم مع الآراء المقبولة عند علماء النحو و البلاغة.

٢. إن أباحيان يعدّ بعض المعاني المقترحة من قبل بعض المفسرين تأويلات غير عربية من آيات القرآن المجيد و الحال أن المفسرين العرب الآخرين اعترفوا بعروبة هذه المعاني وقد وضعوها أساسا لآرائهم؛ وهذا الأمر أدّى إلى التشكيك في عروبة أبي حيان نفسه.

٣. عناد أبي‌حيان الشديد للزمخشري في معظم الحالات التي يشكل فيها عليه أدّى إلى اجتياز السبيل الخطأ إلى درجة أن رأيه أحيانا يعارض مع الآراء المتفقة عند مشاهير النحاة ليس هذا فحسب بل و يعارض مع الآراء المقبولة عند أبي‌حيان نفسه أي آرائه التي اعترف بها في مواضع أخرى من تفسيره.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- ابو حيان الاندلسى، أثير الدين (١٤٢٠هـ). البحر المحيط فى التفسير، بيروت: دار الفكر، ط؟.
- ابن الحاجب، عثمان بن عمر، لاتا. الإيضاح في شرح المفصل، دمشق: دار سعد الدين،

الطبعة الأولى.

- ابن عاشور، محمد طاهر (١٩٨٤م). التحرير و التنوير، بيروت: الدار التونسية للنشر، ط؟.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب أبو محمد (١٤٢٢هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
- ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن، لاتا. شرح ابن عقيل، الطبعة الثانية.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف، لاتا. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، بيروت: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى.
- الآلوسی، محمود، لاتا. روح المعانی، بیروت: دار احیاء التراث العربی، الطبعة الأولى.
- التفتازاني، مسعود بن عمر، لاتا. كتاب المطول و بهامشه حاشية السيد ميرشريف، قم: مكتبة الداوري، الطبعة الرابعة.
- جامی، عبد الرحمن بن احمد (١٣٦٧ق). شرح ملا جامي على متن الكافية في النحو، بيروت: دار إحياء التراث العربی، الطبعة الأولى.
- حقي، اسماعيل بن مصطفى، لاتا. روح البيان، بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى.
- حلبی، سمين(١٤١٤ق). الدر المصون فی علوم كتاب الله المكنون، تحقيق وتعليق: معوض، على محمد –صاد، صاد مخلوف –عبد الوجود، عادل احمد ـ نموتی، زكريا عبد المجيد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط؟.
- الحنبلي، ابن العماد (١٤٠٦ق). شذرات الذهب فی اخبار من ذهب، دمشق: دار ابن كثير، الطبعة الأولى.
- درويش، محي الدين (١٤٠٨ق). اعراب القرآن و بيانه، اليمامه: دار ابن كثير، ط؟.
- دسوقی، محمد، لاتا. حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، بيروت: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى.

- الرازي، فخر الدين(١٤١١ق). مفاتيح الغيب، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
- الزمخشري، محمود بن عمر (١٤١٨هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التاويل، تحقيق: شيخ عادل احمد عبد الموجود و شِخ على محمد معوض، رياض: مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى.
- السمرقندي، ابو الليث نصر بن محمد (١٤٠٥ق). بحر العلوم، تحقيق: دكتور عبد الرحيم الزقة، بغداد: مطبعة الارشاد، الطبعة الأولى.
- السيوطي، عبد الرحمن بن ابى بكر، لاتا. همع الهوامع شرح جمع الجوامع في النحو، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى.
- الصافي، محمود (١٤٠٦هـ). الجدول فى اعراب القران، بيروت: مؤسسة الامان، الطبعة الأولى.
- الصاوي، محمد اسماعيل عبد الله، لاتا. شرح ديوان جرير، لبنان: مطبعة الصاوى، الطبعة الأولى.
- الصبان، محمد بن على، لاتا. حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك و معه شرح الشواهد للعيني، بيروت: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (٢٠٠٠م)، الوافى بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤوط و تركى مصطفى، لبنان، دار احياء التراث العربى، الطبعة الأولى.
- صيرفى، حسن كامل(١٩٧٠م). شرح و تحقيق ديوان شعر المتلمس الضبعى، قاهرة: الشركة المصرية للطباعة و النشر، ط؟.
- القاسمي، جمال الدين (١٣٩٨هـ). محاسن التاويل، تصحيح: محمد فؤاد عبد الباقى، قاهره: دار الفكر، الطبعة الثانية.
- القرطبى، محمد بن احمد (١٩٨٧م). الجامع لاحكام القرآن، قاهره: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة.

- الكلينى، محمد بن يعقوب (١٤٠٧هـ). الكافي، تهران: لاما، الطبعة الرابعة.
- ناظر الجيش، محمد بن يوسف(١٤١٢هـ). شرح التسهيل المسمى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، قاهره: دار السلام، الطبعة الأولى.
- نجدي، محمد الحمود(١٤١٢هـ). القول المختصر المبين في مناهج المفسرين، بيروت: مكتبة دار الإمام الذهبي، الطبعة الأولى.
- يعقوب، اميل بديع (١٣٦٧هـ). موسوعة النحو و الصرف و الإعراب، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى.